روسـيا وحـــرب الـقرم 1853- 1856

أ.د. حسن عبد علي الطائي

كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة بابل

المقدمة

تعد حرب القرم من أهم الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، وقد اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية، وهي إنما سميت بهذا الاسم لحدوث أهم معاركها في شبه جزيرة القرم التي تقع شمال البحر الأسود.

كان السبب المباشر للحرب هو ما وقع من خصام عنيف في مدينة القدس بين رهبان الكاثوليك والاثذوكس، فانتهز قيصر روسيا الفرصة قدم إنذار إلى الحكومة العثمانية يطلب منها أن تعترف به اعترافاً رسمياً بأنه حامي جميع الرعايا الارثذوكس في البلاد العثمانية، وأسرع السفير البريطاني كاننغ يرض المسئولين العثمانيين على رفض الإنذار ومن هنا أخذت الأزمة تشتد شيئاً فشيئاً. نشبت الحرب في شهر تموز من عام 1853م، ثم اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا في آذار من عام1854م. وكان لها ثلاث جبهات: جبهة الدانوب في الغرب وجبهة قفقاسيا في الشرق، وإما الجبهة الثالثة فكانت في شبه جزيرة القرم. قسم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، فضلاً عن قائمة بأسماء المصادر، قسم المبحث الأول إلى ثلاثة نقاط، تناولت النقطة الأولى الثورة اليونانية وما أفرزته من صراعات بين روسيا والدولة العثمانية، في حين ركزت النقطة الثانية على المسألة المصرية ودور محمد علي باشا في إذكاء الصراع العثماني –المصري، أما بالنسبة إلى النقطة الثالثة فقد كانت تخص معاهدة لندن عام1840 حيث كانت أحد الأسباب المباشرة لحرب القرم، أما المبحث الثاني فقد سلط الضوء على الظروف والأسباب التي أدت إلى قيام الحرب بين الدول المتحاربة، أما المبحث الثالث فقد تناول نتاج حرب القرم ومقررات مؤتمر باريس الذي انتهت به الحرب.

المبحث الأول

نبذة تاريخية عن الأوضاع الدولية قبل اندلاع حرب القرم

أولاً- الحَربُ في اليونان 1831-1840

بدأت الثورة في اليونان، في مطلع نيسان 1821 في سبع جزيرة المورة وفي غضون أشهر قليلة سيطر المسلحون اليونانيون عل كل منطقة الريف من (تيسالي) الواقعة شرق وسط اليونان، إلى (المورة)، وحاصر المسلحون الجيش العثماني في الحصون والقرى. ووقعت عدة مذابح منها واقعة (نفارينو وتريبوليتاس) وأصبحت جزيرة هيدرا قاعدة لشن الهجمات ضد السفن العثمانية، إلا أن العثمانيين تمكنوا في النهاية من قمع الثورة اليونانية.[1] ومن الجدير بالذكر إن الأسباب المباشرة التي أدت إلى قيام هذه الثورة هو تدهور الأوضاع الاقتصادية في اليونان بشكل عام، وظهرت أوضح مظاهر هذا التدهور في شبه جزيرة المورة بشكل خاص، نتيجة تظافر عدة عوامل في مقدمتها، سوء المحاصيل الزراعية لعام(1821)، وإن أغلب المساحات الزراعية كانت تعود ملكيتها للأقليات المسلمة، مما سبب استياء الأكثرية المسيحية، فضلاً عن ذلك الظلم السياسي وحالة الذل والإهانة الذين طبعا الواقع المسيحي هناك في ظل السيطرة العثمانية.[2] تنامي الشعور القومي الجماعي لدى اليونانيين للتحرر من سلطة العثمانيين، مما أدى إلى إذكاء الكره والعداء للعثمانيين الذين يعتبرهم اليونانيون أجانب غزاة لبلدهم، وما أشتهر عن العثمانيين من تفشي الفساد المالي والإداري المتمثل في كثرة الرشاوى وعدم وجود ضوابط إدارية تحفظ حق الشعب اليوناني في التمتع بالمواقع الإدارية والسياسية المهمة، كل ذلك قاد إلى وصف اليونانيين للدولة العثمانية بالضعف.

---

(1) عمر طومسون، الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم 1853-1855، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1993، ص6.

(2) المصدر نفسه، ص7.

حاول مترنيخ[1] من أجل ديمومة وسلامة النظام الذي أوجده في أوربا الوقوف ضد هذه الثورة مؤيداً ومشجعاً السلطان العثماني محمود الثاني(1808–1839) على سحقها، فمترنيخ لم يجد أية مصلحة في كفاح اليونانيين. فكان ضد اليونانيين حيث يرى فيهم شعباً شبه متوحش، ثار ضد حاكمه الشرعي. وبذلك فتح مترنيخ الطريق إلى تدخل روسي[2] واسع في الدولة العثمانية، لذلك التدخل الذي سيهدد السلام في أوربا وسيقود بالذات إلى صراع خطير بين روسيا والنمسا. أدرك مترنيخ الصعوبات التي كانت تعتري سير العلاقات الروسية–العثمانية، ولكنها لم تسبب له قلقاً بقدر ما سببت له نشاطات القناصل والمندوبين الروس في الدولة العثمانية إذ اعتقد هؤلاء المندوبين قد تورطوا في مؤامرات الجمعية السرية اليونانية(هيتريا فيليكية)، وفي الوقت نفسه أعطى تعليمات إلى السفير الروسي في اسطنبول البارون ستروغانوف، للتحرك لمساعدة العثمانيين في وضع حد للثورة قبل اكتساح العثمانيين للمقاطعتين[3] لكن انتشار الثورة إلى شبه جزيرة المورة وطريقة معالجتها من العثمانيين والتهديد بإرسال الجيش الإنكشاري إلى داخل المقاطعات الدانوبية[4]. فقد قرر العثمانيون القضاء على الثورة . كانت هناك عوامل عديدة دفعت الدول الأوربية إلى التدخل في قضية اليونان في مقدمتها:

1- التنافس الاستعماري التوسعي بين الدول الأوربية.

2- العامل الديني، فقد اعتبرت الدول الأوربية إن هؤلاء اليونانيين مسيح ومن أبناء دينهم.

3- استخدام الدولة العثمانية القسوة والشدة في قمع العناصر الثائرة.

4- ضغط الرأي العام في أوربا على حكومتها من أجل التدخل فغي الثورة ومناصرة الثوار.

5- اعتلاء القيصر الروسي نيقولا الأول عرش روسيا في عام1825 الذي نبذ سياسة سلفه الأسكندر الأول في التضامن مع الدول الأوربية وإن اتبع سياسة التدخل والتحرك لصالح روسيا.

لم تكن القضية اليونانية تهم الروس بقدر ما كانت تهم الأقاليم الدانوبية، ففي سنة 1826 وجه القيصر الروسي إنذارا إلى الدول العثمانية بتنفيذ بنود معاهدة بوخارست التي وقعت في عام1812 والمتعلقة بولايات الدانوب، وبعد مفاوضات بين الطرفين(العثمانيين والروس) توصل الطرفان إلى اتفاق (اكرمان سنة1826)حيث وقع وافق العثمانيون على إعطاء امتيازات تجارية في البحر المتوسط والسماح لسفنهم التجارية في العبور بحرية وقد أثار هذه الاتفاق بريطانيا ونتج عن التدخل والمعارضة البريطانية أن توصل الروس والبريطانيين إلى اتفاق أصبح الروس فيه أحراراً في الدانوب، وتكفل البريطانيون بالقضية لم تهتم بالواسطة واحتجت فرنسا على عدم مشاركتها في المعاهدة مما أدى إلى توقيع معاهدة بريطانية روسية فرنسية عام1827 ونصت على:-

---

[1] مترنيخ: هو كليمنز لوثر مترنيخ(1773–1859). دخل الخدمة في لبلاط النمساوي 1797. عين سفير بروسيا 1803، وسفيراً في فرنسا1806. وعين لوزير الخارجية عام1809 ثم مستشاراً للسنوات 1821–1848. عارض الخطط الروسية لإلحاق بولندة بروسيا في مؤتمر فينّا. أهم ما يميز سياسيته استيائه من الأفكار القومية والليبرالية. اقترن اسمه بإعادة النظام القديم: لمزيد من التفاصيل ينظر زيدان حسان الحاوي، مؤتمر فينا1814–1815، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة بغداد، 2004، ص39.

[2] وقفت الحكومة الروسية إلى جانب الثوار اليونانيين، وقدمت الدعم لهم فأعلنت في 16نيسان1828 الحرب على الدولة العثمانية، واستطاعت قواتها في أيار من تلك السنة عبور بهر بروث واحتلت إمارة الدانوب ودخل أسطولها البحري إلى الدردنيل، ونجح الجيش الروسي في 20أب 1829 من احتلال مدينة أدنه الغربية من العاصمة العثمانية اسطنبول، مما دفع السلطان العثماني محمود الثاني إلى عقد صلح مع الروس، فعقد بينهما صلح ادريانابول(أدرنة) في 14 أيلول 1849، وحصلت روسيا بموجبه على جزء من ساحل البحر الأسود وجزء من باشوية اخالتسيخ، كما استولت على جزء من دلتا دانوب، وأعطت التجار الروس حرية التجارة مع الدولة العثمانية وغيرها من البنود ينظر: هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية، المرحلة الأولى (1774–1856)بغداد، 1990، ص116–126.

[3] أمة الملك إسماعيل قاسم، الولادة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية في فتري الحكم الأول والثاني لليمن، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 22، 1431هـ، ص132.

[4] قرر العثمانيون سحق ثورة التي اعتبروها تمرداً بطريقتهم الخاصة التي تعني قتل كل القادة الثوريين الذين يتم إلقاء القبض عليهم واحتلال المقاطعتين بقوات مسلحة حتى يتم سحق التمرد في شبه جزيرة المورة، وطالبوا روسيا بتسليمهم ميشال سيوزرا والهاربين الآخرين، للمزيد من التفاصيل انظر: عمر طومسون المصدر السابق، ص45.

1- بقاء سلطة العثمانيين على اليونان مقابل دفعهم إلى الدولة العثمانية الضريبة.

2- يقوم اليونانيون بانتخاب حكومة لهم واسترجاع الأراضي اليونانية من العثمانيين.

إلا إن السلطان العثماني لم يقبل بهذه المعاهدة لأن القوات العثمانية قطعت شوطاً كبيراً في مقاتلة اليونانيين. وإنه كان يتصور أن العثمانيين قادرون على القيام بالضربة الأخيرة في اليونان وتجمعت (126) سفينة عثمانية بمساعدة الأسطول المصري[1] وفي سنة 1829 توصلت الأطراف المتنافسة إلى اتفاقاً ينص على إقامة دولة يونانية تحت السيادة اليونانية على أن تكون مستقلة استقلالاً ذاتياً وحكماً وراثياً، وقد وافق السلطان العثماني سنة1829 ورسخت المصالح الروسية في ولايتي البغدان والأفلاق(رومانيا) حالياً وأدت على استقلال صربيا الذاتي وحصل الروس على الدانوب وحرية التجارة في البحر الأسود والقوقاز وأرمينية، وهكذا حصلت اليونان على استقلالها الذاتي عن الدولة العثمانية سنة1832 وهذا شاهد من شواهد ضعف الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر.[2]

ثانياً- المسألة المصَرية 1831-1840

لقد أثارت إصلاحات محمد علي[3] مخاوف الدولة العثمانية، وأصبح السلطان يخاف من أن يتخطى محمد علي حدوده، ويصبح خطراً على الدولة، ولاسيما أنه يخاف أن يستقل عن الدولة ويضرب السلطنة في الصميم، ولكن محمد علي اتبع سياسة حكيمة في بادئ الأمر حتى لا يثير غضب السلطان، وتلخصت سياسته في أن يشارك في حروب السلطان ويصبح نصيره في معاركه مع أعداءه، وأظهر محمد على الاحترام الكامل له والرغبة الصادقة في معاونته كما تجنب كل ما يدل على إهمال الواجب نحوه[4] واستجاب لطلب محمود الثاني لنجدته في حرب الموره[5]، وهذا فضلاً عن كون محمد علي لم يغضب لتحطم أسطوله في نفارين ولم يظهر أي استياء. كما أنه ساند السلطان في حربه مع روسيا عام1828م وطالبه السلطان بإرسال جيش ولكنه تصرف بكياسة فلم يرسل جيشاً بسبب خوفه من الدخول مع روسيا في مشاكل[6]، ولكنه أرسل الأموال لاسترضاء السلطان، لذلك كانت العلاقات بينهم طيبة .إنّ خسارة أسطول محمد علي في واقعة نفارين وسحق قوته في 20/تشرين الأول 1827م. كانت السبب الحقيقي في أن يسحب محمد علي قواته مع المنطقة، وبدأ يطالب السلطان بعد توقيعه معاهدة أدرنة في أيلول/سبتمبر 1829م[7]ن والتي وقعت بين الدولة العثمانية وروسيا والتي اعترف فيها السلطان العثماني باستقلال اليونان أن يعطي لمحمد علي حكم بلاد الشام ثمناً وتعويضاً لما خسره في هذه الحرب التي أدخله فيها.

فكانت هذه بداية القطيعة بين محمد عن حكم الدولة العثمانية، ويمكن اعتبارها بداية الحركة التي أخرجت محمد علي عن حكم الدولة العثمانية عام1831م أثر رفض السلطان إعطاءه سوريا مقابل الأموال الكثيرة التي فقدها والأسطول الضخم الذي تحطم في المعركة فأراد أن يحصل على حقوقه بنفسه، فبدأت الأزمات تتصاعد بين الطرفين.لقد شعر محمد علي بضعف السلطان بعد حربه مع روسيا والثورة في اليونان، لقد كان لمحمد علي أسباب تمرده على السلطان وهي أن محمد علي شخص عملي وفعّال ونشط، شخص يعرف كيف يعمل

---

(1) محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوربا القرن التاسع عشر، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1986ن ص265.

(2) نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، دمشق، 1967، ص371-373.

(3) محمد علي باشا: جاء محمد علي باشا إلى مصر مع القوات الألبانية التي أرسلها السلطان العثماني إلى مصر في عام 1801 وتولى ولايتها عام 1805 وبقي في سدة الحكم إلى عام 1848، وكان له الفضل في تطوير مصر بجميع جوانبها الإدارية والعسكرية والاقتصادية، لمزيد من التفاصيل عن التطورات التي أحدثها محمد علي باشا في مصر، إبراهيم خليل أحمد، تاريخ السيطرة العثمانية على أقطار الوطن العربي، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، 1982، ص141.

(4) محمد كمال، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة 1976، ص163-164.

(5) الموره: وهي ثورة حدثت في اليونان عام1821م وأوقع الثوار بالعثمانيين مذبحة كبيرة امتدت الثورة إلى مقدونيا واستولوا على مقر الحكومة العثمانية، فاستعان السلطان بمحمد علي لإخضاع اليونانيين، رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840- 1909، القاهرة، 1970، ص18.

(6) محمد كمال دسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1976، ص164.

(7) عمر الأسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مطبعة المعارف، 1917، ص170.

وكيف يتصرف، وكان يرغب في السيطرة على سوريا وذلك لكي يبقي أولاده في مصر ويبقيها دولة قوية تستطيع أن تواجه التهديدات بقوة، وكان يود أن يؤكد في أن حدود مصر الطبيعية ليس السويس، بل في جبال طوروس، كما أنه لم يكن يرغب في أن تكون مصر التي بناها خاضعة للعثمانيين بل دولة قوية مستقلة، فحاول أن ينفرد بتحصيل حقوقه فبدأت حملته على بلاد الشام في 29تشرين الأول عام1831م وقد كان الجيش العثماني في حالة ضعف تام عكس الجيش المصري الذي كان منتظماً ومسلحاً، ولم يتحرك الجانب العثماني إلا بعد ستة أشهر من بدء الحركات المصرية في منطقة بلاد الشام، الذي سيطر على غزة ويافا، وحيفا بدون مقاومة تذكر[1]، وفي تشرين الثاني من العام نفسه حاصر عكا ودخلها بعد ستة أشهر، ومن ثم استولت القوات المصرية على حمص وحماة وحلب واتجه نحو مضيق بيلان الجبلي ثم تمكنت القوات المصرية من دخول الأناضول واستولت على أظنه بعد معركة قونية في 21تشرين الثاني عام 1832[2]. أحست الدولة العثمانية بالخطر وبدأت تطلب المعونة من الدول الكبرى، ولكن فرنسا كانت تؤيد وبشكل كامل محمد علي، وانكلترا كانت في موقف حرج لا تستطيع أن تقدم المساعدة، إلا أن روسيا استغلت الوضع وخاصة أن السلطان طلب منها المساعدة. وفي 2 شباط 1833 احتل المصريون كوتاهية فطلب محمود الثاني رسمياً من روسيا التدخل والمساعدة وفي 20شباط1833 دخل الأسطول الروسي مياه البسفور[3]. وانزل الفيلق الروسي الذي قوامه 30ألف محارب فأفزع التدخل الروسي كل من انكلترا وفرنسا فحاولتا مصالحة محمد علي مع السلطان لكي لا يقطعا الطريق أمام روسيا وتدخلها السافر في المنطقة على حساب مصالح كلتا الدولتين وفعلاً استطاعتا أن تجعلا محمد علي والسلطان يوقعان صلح كوتاهية في 4أيار 1833[4]، والذي بموجبه أعطي محمد علي حكم مصر والجزيرة والودان وكريت وعين حكماً على بلاد الشام[5].إن قوة محمد علي وسيطرته المباشرة على بعض ممتلكات الدولة العثمانية، فضلاً عن خوف السلطان من امتداد هذا النفوذ ليشمل أجزاءاً أخرى أدى إلى أن يلجأ إلى روسيا ولقد كرس السلطان جهده وسخّر موارد بلاده وتحالف مع خصومه من أجل تحطيم السياسة المصرية. فعقد اتفاقية خنكار سكله سي في 8تموز 1833 مع روسيا التي كانت لها أهداف في إبرام هذه المعاهدة وهي أن تجعل من نفسها المحامي الوحيد للإمبراطورية المتداعية، وإن تعزز موقعها في المنطقة وتحصل على مواقع جديدة في مياه البسفور والدردنيل[6]، فتعهدت روسيا بإرسال قوات لمساعدة السلطان إذا ما اقتضت الحاجة لذلك وعلى السلطان أن يقفل الدردنيل بوجه السفن الحربية الأجنبية إذا ما طلبت روسيا منه ذلك، وأدكت هذه المعاهدة على سيطرت روسيا على الدولة العثمانية، وأصبحت الحامية الوحيدة للدولة العثمانية في تلك الفترة وحتى عام1839[7]. وكانت الدولة العثمانية حتى ذلك الوقت بمثابة حليف لأوربا الغربية في الحفاظ على توازن القارة تجاه روسيا، فإن دعمت انكلترا إحدى هاتين الدولتين قوّت في أي حال من النفوذ الروسي في استانبول، وهذا مما جعل قوة الباشا مهدرة فظيعة للقوة وإن الدولة العثمانية هي التي شكلت حاجزاً كبيراً بين أوربا وجنوب آسيا . إن الضغوط والمواقف المتشددة من ميل بريطانيا وغيرها من الدول نحو الدولة العثمانية كانت قد أجبرت أن تضع محمد علي بين نارين فلجأ إلى السلاح العاطفة. وفي مذكرة وجهها للوزير نيسلرود عبّر له عن ثقته" بأن تعود الدول الأوربية لتضمر له شعوراً أكثر ودية، وأسف لأن يراها تعارض مراميه، ثم طالب بأن يعترف له بحق الوراثة، وقال أنه يكتفي بذلك الآن، ولكنه سيجد نفسه مجبراً إذا ما عارضته أوربا بصورة جذرية على اللجوء إلى السلاح للحصول على الاستقلال".[8] وفي العام 1839م دخلت الأزمة طورها الحاسم، خاصة بعد إعلان استقلال محمد علي فسعى إلى محاولة رد الهجوم على القوات المصرية في الجبهة السورية، وكان الجيش

---

[1] محمد كمال دسوقي، المدر السابق، ص165.

[2] علي يوسف البلخي،" الموقف الدولي من احتلال محمد علي لبلاد الشام 1839، 1840 من خلال الوثائق العثمانية"ن مجلة دراسات تاريخية، العددان (19-20)نيسان/تموز، 1985، ص200.

[3] مكي جميل، تاريخ المسألة الشرقية، المكتبة العصرية، بغداد، 1926، ص27.

[4] محمد جميل بيهم، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، ط1، القاهرة، 1950، ص230.

[5] عمر عبد العزيز عمرن دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت، 1975)،ص 177-178-وكذلك ينظر علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، طرابلس، منشورات مكتبة طرابلس د.ت، ص290.

[6] محمد كمال دسوقي، المصدر السابق، ص171.

[7] محمد حبيب صالح، " الدبلوماسية الروسية في مصر وبلاد الشام خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر " مجلة دراسات تاريخية، العددان 67-68، كانون الثاني وحزيران، 1999، ص221.

[8] مكي جميل، المصدر السابق، ص33.

العثماني قد اجتاز الفرات في 21/نيسان متحدياً بذلك الجيش المصري، وهكذا لم تعد القضية مجرد استقلال أو قضية وراثة محمد علي للحكم، وإنما أصبح الموقف أكثر خطورة، واصحب الموقف أكثر خطورة، وأصبح في طور الصراع الدولي بين كل من بريطانيا وحليفتها الدولة العثمانية وبين محمد علي وجرت معركة بين الطرفين قرب(نصيبين) الواقعة بين الفرات وحلب[1]، وبعد ساعتين من بدئها انتهت بهزيمة الجيش العثماني في 24/حزيران 1839، ولكن تطورات الموقف أجبرت الدولة العثمانية على خوض المعركة[2]. فاضمحلت جميع الآمال في استرجاع سورية وإخضاع الوالي محمد علي للسلطان[3] .أبدت الدول الكبرى دهشتها واستيائها، ولم يتوقف إبراهيم باشا عند هذا الانتصار وإنما توجه نحو أورفة وقونية وأراد أن يعبر جبال طوروس، ولكن تعليمات والده أبلغته أن ينتظر. ولم تكن من مصلحته في هذه الفترة التوقف والانتظار إذا أتاحت الفرصة أمام بريطانيا والدولة العثمانية من أجل أن تستعيد قواتهما وفي تلك الفترة توفي السلطان محمود الثاني في 29حزيران1839، وتسلم من بعهده عبد المجيد[4]، ولقد سلم القبوان أحمد فوزي باشا الأسطول العثماني لوالي مصر في/ تموز وتتضمن جميع قطع الأسطول العثماني. إنّ انتصارات الجيش المصري في نصيبين قد وضعت المسألة المصرية خاصة، ومسألة التوازن الأوربي عامة موضع البحث والتعمق في النظر إذ إن هذا الانتصار وغيرها من الانتصارات الكبيرة التي حققها والي مصر من خلال قواده في سوريا والجزيرة العربية قد أحدث إخلال في التوازن الأوربي، فضلاً عن تداعي أركان الدولة العثمانية[5].

ثالثاً– مُعاهدة لنْدنْ 1840

وهي المعاهدة الدولية التي فرضت على مصر، فقد وضعت تسوية لندن حدود إبعاد الباشاوية المصرية، وتضمنت العلاقة بين الباب العالي وباشاوات مصر من محمد علي وحلفاؤه، وقد فتحت هذه المعاهدة فيما بعد التدفق للنفوذ الاستعماري الأوربي، ولاسيما الإنكليزي والفرنسي[6] . إلى مصر، قدّم بالمرستون[7] مسودة مشروع اتفاقية للأعضاء الخمس المشاركين في المؤتمر، وخاصة السفير الروسي، وفي 19 كانون الثاني عام1840م، والتي عُدّت أساس للمفاوضات التي انتهت بتوقيع معاهدة لندن في 15 تموز 1840م[8]. وكانت هذه المعاهدة مفاجئة بالنسبة لمصر وفرنسا عند التوقيع عليها لذلك هاجت فرنسا وتوترت العلاقات بينها وبين بريطانيا وكادت أن تقع الحرب، ولكن فرنسا لم تكن تحتمل حرباً مع أوربا لذلك تركت محمد علي يواجه نتائج هذه المعاهدة لوحده[9]، ولقد حملت عدة شروط أبرزها:

---

(1) محمد حسن العبدروس، تاريخ العرب الحديث، دبين دار الكتاب الحديث، 2000، ص263.

(2) عبد الرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، دار المعارف، مصر، 1950، ص437.

(3) كريم ثابت، محمد علي، ط2، مصر، مطبعة المعارف، 1943، ص220.

(4) جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، خمسة قرون من المغامرة والعلم، ترجمة، قدري قلعجي، بيروت منشورات الفاخرية ودار الكتاب العربي، د.ت، ص338.

(5) جوزيف حجار، أوربا ومصير الشرق العربي، حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية ترجمة، بطرس حلاق وماجد نعمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،1976، ص160.

(6) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514–1914، القاهرة دار الجيل للطباعة، د.ت، ص202.

(7) بالمرستون: هنري جون تمبل الفايكاونت بالمرستون، ولد في 20 ت1 1784،درس في مدينة هارو، ثم ذهب إلى جامعة أدنبرة لدراسة الفلسفة عام(1800)، أصبح عضواً في البرلمان عام(1807)، أصبح وزيراً للخارجية(1835–1841) ولمدة ثانية(1846–1851)، ووزيراً للداخلية(1852–1855)، ورئيساً للوزراء(1855–1858) ومرة ثانية (1859–1865) وتوفي في 18ت 1 1865. للمزيد من التفاصيل ينظر: سامي صالح محمد، الصراع البريطاني الفرنسي على مشروع قناة السويس 1854–1869، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2006، ص54.

(8) الياس الأيوبي، محمد علي سيرته وأعماله وآثاره، مصر، دار الهلال، 1923، ص132.

(9) عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج2، ط3، مكتبة النهضة، 1958، ص336.

أولاً– أن يخول لمحمد علي وخلفائه حكم مصر وراثياً وكون له مدى حياته حكم المنطقة الجنوبية من سورية(ولاية عكا فلسطين).

ثانياً– إذا لم يقبل هذا القرار في مدة عشرة أيام يحرم من ولاية عكا ويمهل عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر فحسب، ويسحب جنوده من جميع البلاد العثمانية وإرجاع الأسطول العثماني فإذا انقضت هذه المهلة دون قبول الشروط كان السلطان في حل في حرمانه ولاية مصر [1].

ثالثاً– يدفع محمد علي جزية سنوياً للباب العالي تتبع في نسبتها على البلاد التي تعهد إليه إدارتها[2].

رابعاً– تسري في مصر وفي عكا المعاهدة التي أبرمتها السلطنة العثمانية وقوانينها الأساسية.

خامساً– تعد قوات مصر البرية والبحرية جزءاً من قوات السلطنة العثمانية ومعدة لخدمتها متى احتاجت لها.

سادساً– يتكفل الحلفاء في حالة رفض محمد علي تلك الشروط أن يلجئوا إلى وسائل القوة لتنفيذها.

سابعاً– إذا لم يذعن محمد علي للشروط وجرد(أي سحب)قواته البرية والبحرية على استانبول، فيتعهد الحلفاء بأن يتخذوا بناء على طلب السلطان العثماني كل الوسائل لحماية عرشه.

لقد منحت لمحمد علي عشرة أيام لتنفيذ هذه البنود وإذ لم يذعن فأنه مرة أخرى وحسب هذا الإنذار الثاني فأنه إن لم يذعن فأنه يعامل معاملة عاصٍ وتقدم الدول العاقدة لهذه الاتفاقية الدعم العسكري والبحري للسلطان لطرد محمد علي. إلا إن محمد علي رفض إنذار الحلفاء وأعلن أنه يحافظ بالسيف على ما ربحه بالسيف، ورداً على رفض محمد علي لشروط معاهدة لندن والتي هي في الأساس كانت صيغت لكي يرفضها وكان هذا مقصوداً لكي تشن عليه الحرب وفعلاً بدأت كل من بريطانيا والنمسا مع الدولة العثمانية بعمليات حربية ضده. ووصل الأسطول الإنكليزي سواحل سوريا وأنزلت قوات إنكليزية في 11أيلول 1840في شمال بيروت، وفوجئ الجيش المصري بوضع حرج[3]، وخاصة أن قوات إبراهيم باشا كانت قواته مبعثرة في جميع أنحاء سوريا، وكانت تقاسي من الأمراض وسوء التغذية وقطعت الاتصالات بين مصر وسوريا وقامت ثورة بدعم إنكليزي واستطاع الثوار احتلال المدن الساحلية، في 10تشرين الأول 1أكتوبر/1840م، سحق الجنود الثوار الجيش المصري بالقرب من بيروت فاضطروا إلى إخلاء المنطقة ثم انتشرت الثورات والقوات البريطانية في جنوب سوريا واستطاعت أن تهزم الجيش وفي، 16تشريا الأول دخلت قوات حليفة طرابلس والشام وبسطوا يدهم على جميع سواحل لبنان، أما إبراهيم باشا فلقد عبر صحراء سيناء ورحل إلى القاهرة في 4تشرين الثاني 1840, وفي الفترة نفسها اقترب الأسطول البريطاني بقيادة نابير من الإسكندرية وقدم إنذارا لمحمد علي. لقد كان للخطر البريطاني وللخسارة التي منيت بها القوات المصرية في سوريا ولبنان ولعدم مساعدة فرنسا وراء استسلام محمد علي وقبوله شروط معاهدة لندن.[4] إن معاهدة لندن نجحت في تقرير المبدأ الجوهري الذي أرادت منه بريطانيا خدمة مصالحها الذاتية قبل أي اعتبار آخر وهو بقاء مصر جزءاً من الدولة العثمانية بالرغم من إعطاء أسرة محمد علي الحكم الوراثي، ولقد اكتسبت صيغة دولية ظاهرة.[5] ولكن هذه التسوية كانت ضعيفة فالدول التي أرادت بها خدمة مآربها في المحافظة على كيانسس الدولة العثمانية تهرباً من مشكلة ملء الفراغ، ثم حرصاً على التوازن الدولي لم تدخل في اعتبارها، ضرورة، تنظيم العلاقة بين مصر فالدولة العثمانية قواعد ثابت فكانت هذه التسوية محور كل ما طرأ بعد ذلك من اضطراب وقلاقل في العلاقات العثمانية –المصرية. وفي 13شباط1841 صدر فرمان سلطاني نص على أن مصر ستصبح ولاية وراثية في أولاد محمد علي وأحفاده ومقابل ذلك يدفع محمد علي إلى والي الباب العالي (80.000)ثمانين ألف كيس (أقجة)بوصفها وراداً سنوياً وقد

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص320.

[2] أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، القاهرة، دار المعارف، 1965، ص9.

[3] محمد كمال دسوقي، المصدر السابق، ص178.

[4] عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص182.

[5] محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر، ط3، مصر، دار المعارف، 1963، ص18–19.

منحت ولايات(النوبة ودار فور وكردفان وسنّار) لمحمد علي مدى الحياة فقط وأخيراً فأن محمد علي حاول جاهدًا أن يبني دولة عربية موحدة.[1]

المبحث الثاني

الظروف والأسباب التي أدت إلى حرب القرم (1853-1856)

إن الظروف والأسباب التي أدت إلى حرب القرم(1853-1856) لا تزال تثير الكثير من الجدل وخاصة إذا ما وضعت الأسباب الدينية والمتعلقة بالطموح الشخصي موضع الاعتبار الأول، وهناك إهمال كبير من قبل بعض المؤرخين للأسباب الإستراتيجية الدولية والتي لها دور هام في نشوب حرب القرم ويمكن أن يكون السبب الأول ويليه عامل الاقتصادي والسبب الأخير هو العامل الديني، وعلى هذا الأساس ندرس الظروف التي ادأت إلى نشوب حرب القرم، وهي ...

أولاً- الأسباب الإستراتيجية أو الدولية

والبواخر مرة أخرى إلى الهند مباشرة ومعنى هذا إن الشرق العربي أصبح على جانب كبير من الأهمية لسرعة نقل التجارة البريطانية التي أصبحت تُنْتَجْ وبكميات ضخمة والتي لا يستطيع طريق رأس الرجاء الصالح نقلها بالسرعة المطلوبة إلى الهند لطول الطريق ولعدم قدرة البواخر على قطع هذه المسافة الطويلة من أوربا ثم حول أفريقيا وصولاً إلى الهند، دون التعرض إلى المتاعب الفنية التي تجعل تكاليف الرحلة غالية بدرجة تؤدي إلى إن ينتفي الهدف الاقتصادي من وراء إرسال البضائع بواسطة البواخر إلى الشرق الأقصى أو جلب البضائع منه إلى أوربا في الوقت المناسب فأدى هذا الانقلاب الجديد في خطوط الموصلات العالمية إلى ارتفاع تجارة العراق ومصر لدى كل من بريطانيا (ذات المستعمرات الواسعة في الشرق الأقصى)وفرنسا التي كانت تفكر بحماس في مشروع شق قناة السويس[2] ، وفي مد خط بري لربط البحر المتوسط بالخليج العربي فضلاً عن تطلعات فرنسا الاستعمارية وحيث إن الدولة العثمانية كانت لا تعارض كثيراً أو بالأحرى لا تستطيع إن تعارض مشروعات بريطانيا وفرنسا في الوليات العثمانية العربية فأن ظهور أي قوة أوربية على مسرح هذه الولايات سيؤدي إلى إصابة المشروعات البريطانية والفرنسية بشلل كبير والأخطر من ذلك على بريطانيا وفرنسا إن تستولي روسيا على القسطنطينية وأن تطلق الأساطيل الروسية من البحر الأسود إلى البحر المتوسط.

وكان(ستراتفورد دي رد بكليف)السياسي الانكليزي أكثر الدبلوماسيين إدراكاً للقيمة الإستراتيجية والاقتصادية للشرق العربي كما كان هو الذي يعرقل المشروعات الفرنسية للموصلات العالمية عبر الشرق العربي أيضاً ومن ثم كان حصول روسيا على تفوق سياسي في الدولة العثمانية يعني السماح لروسيا بالانطلاق ليس سوى مساواة بين كل الأطراف للعمل في البحر المتوسط وكان هناك تساؤل لماذا يعتبر احتلال روسيا للقسطنطينية وهو هدف روسي كبير إخلالها بالتوازن الدولي وتعدياً على الحقوق وعدواناً لا يغتفر في الوقت الذي لا يقال

---

[1] عدنان حسين الشخيلي، الفكر القومي العربي في مصر 1882-1922، رسالة ماجستير غير منشورة تقدم بها إلى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية، 1980، ص18.

[2] ومن الجدير بالذكر أنه يطلق على قناة السويس اسم(ميزان التجارة الدولية)وهذا التقدير بالغ الأهمية بالنسبة إلى الناحية الاقتصادية والحيوية للقناة إذ إن معظم الدول والتي تمتلك أسطول بحري تجاري وتستخدم القناة كممر لسفنها، يبلغ طول القناة173كيلو متراً وهي بتلك تعد من أطول القنوات المفتوحة بدون(هويس)في العالم، وتمر في القناة خلال الأوقات العادية سفن يبلغ غاطسها (11.035متراً) بحدود(35قدماً)وهذا يعني أن تمر أبر السفن الحربية التي تصل حمولاتها إلى عشرات الآلاف من الأطنان، وقد زادت إمكانية عبور السفن في اتجاهين بالقناة على أثر افتتاح قناة فرعية يبلغ طوله(13كيلو متراً)عام 1951، ويبلغ متوسط الوقت اللازم لعبور قناة سنة1956 بحدود اثني عشر ساعة، جاليناس نيكيتا، قناة السويس ملكية وطنية للشعب المصرين ترجمة إبراهيم عامر، القاهرة، الدار المصرية للطباعة، 1957، ص6، وكذلك ينظر محمود صالى منسى، مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفردينان دي ليسبس دراسة وثائقية للجهود الفنية والدبلوماسية من اجل شق طريق مائي في برزخ السويس حتى عام1856، القاهرة، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1971.

عن الاحتلال البريطاني لمالطا وجبل طارق نفس الشيء؟ إن الحقيقة التي لا يبرزها المؤرخون الغربيون هي إن مفهوم التوازن الدولي حينذاك يعني في أساسه بقاء بريطانيا متفوقة وفيما عدا ذلك يعتبر إخلال التوازن الدولي[1] . إن ادعاء بريطانيا الدفاع عن الدولة العثمانية الضعيفة أمام العدوان الروسي ليس سوى إخفاء لهدف آخر هو إن السيطرة الروسية على القسطنطينية كان تعني اخلالاً للتوازن الدولي من وجهة النظر الروسية هو إن تكون لها قواعد على نفس المستوى الذي كانت تمتلكه كل من فرنسا وبريطانيا في البحر المتوسط ولتكن القسطنطينية هي القاعدة وحيث إن القسطنطينية لم تكن مجرد عاصمة عثمانية وإنما كانت مفتاح البحر المتوسط فقط كان وقوعها سياسياً وعسكرياً بيد الروس يؤدي أن لا يصبح البحر المتوسط الطريق الهادئ إلى الهند بالنسبة إلى بريطانيا وحيث أن الأسطول الروسي كان قد بلغ درجة من القوة القادرة على أن تسيطر سيطرة كاملة تقريباً في البحر الأسود في وجه أسطول عثماني ناشئ فقد كان من الضروري من وجهة نظر بريطانية تحقيق الأهداف الرئيسية التالية بعد وقوع الهجوم البحري الروسي على ميناء(سينوب) العثماني.

1- منع الأسطول الروسي من التفوق الكامل في البحر الأسود.

2- منع الأسطول الروسي من الانطلاق عبر مضايق العثمانية إلى البحر المتوسط.

إذا ما قرننا بين الهجوم البحري الروسي على الأسطول العثماني في ميناء (سينوب)عام1853 والهجوم البحري الانكليزي على الأسطول الدنماركي المحايد لودنا أن الهجوم الثاني ينطوي على خرق كامل للقانون الدولي بعكس الهجوم الروسي على مينا(سينوب) الذي وقع بعد إعلان الحرب على الدولة العثماني، لقد كانت المحافظة على كيان الدولة العثمانية وهي السياسة التي أتبعتها وأعلنتها بريطانيا إزاء التوسع الروسي على حساب الدولة العثمانية تخدم المصالح البريطانية أولاً وقبل كل شيء فالدولة العثمانية بمثابة حاجز بين روسيا والبحر المتوسط ولم يكن الوقت قد حان بعد من وجهة النظر البريطانية لاقتسام الدولة العثمانية[2]وهو الاقتسام الذي تدعو إليه روسيا ومما يزيد من الخطر الروسي على المصالح البريطانية في البحر المتوسط إن البلقان كان يتطلع إلى روسيا كحامية للعنصر السلافي وكقوة صليبية أوربية ضد العثمانيين والمسلمين وكان هذا الميل الطبيعي من جانب البلقان نحو روسيا يخلق حقداً شديداً في الدوائر البريطانية الكارهة لأي نفوذ روسي مطل على البحر المتوسط ومن ثم كان على الدوائر البريطانية السياسية إن تفقد الشعوب البلقانية ثقتها في روسيا وهذا الأمر لا يأتي إلا بتوجيه ضربة عسكرية إلى روسيا.

ثانياً – العامل الاقتصادي

لقد كانت روسيا خلال فترة التي أعقبت الحروب النابليونية معينة بزيادة حجم صادراتها وخاصة من القمح الذي يزرع في مساحات شاسعة من الإمبراطورية القيصرية وكان ميناء(أوديسا) من أهم الموانئ التي تصدر عن طريقه قمحها، وكانت في البلقان ولايتان هما الافلاق والبغدان(ولاشيا وملداقيا) التين كانتا تصدران كميات كبيرة من القمح تنافس بشدة الصادرات الروسية وكانت لدى روسيا بعض النفوذ الذي يمكنها من التحكم في الصادرات القمح من الولايتين الرومانيتين ولكن القيصر كان يريد السيطرة الكاملة على هاتين الولايتين لهذا الهدف ولأنهما تمكناه من التحكم في البلقان العثماني بما يفسح المجال له الغرض فرض وصاية روسية على الأقل وعلى أجزاء من البلقان إن لم يستطيع السيطرة عليها كلها . ومن ناحية أخرى كان فتح البحر المتوسط أمام التجارة الروسية أمراً يزعج التجار والصناعيين الانكليز الذين أحرجتهم الحواجز الكمركية التي وضعها القيصر لإنعاش التجارة والصناعة الروسية الناشئة في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا ترى إن الأسواق الروسية قادرة على تصريف المنتجات الانكليزية...

ثالثاً– العامل الديني

[1] شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تأريخ أوربا عصر النهضة إلى الحرب الباردة، القاهرة، مطبعة المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2000، ص214.

[2] شوقي عطا الله الجمل عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص215.

لقد لجأت روسيا إلى إثارة المشاكل مع الدولة العثمانية عن طريق مطالبتها بامتيازات بشأن الأماكن المسيحية المقدسة في القدس، وبحق رعاية مصالح المسيحيين الأرثوذكس في الدولة العثمانية فرفضت لدولة العثمانية ذلك[1]. وبحكم اعتناق روسيا للمذهب الأرثوذكسي المسيحي الشرقي كانت ترى نفسها وريثة للدولة البيزنطي نية، ويَحْلُمْ قياصرتها بذلك اليوم الذي يستطيعون به دخول القسطنطينية وكانت مصالحها الجغرافية والمادية الإستراتيجية تقضي بضرورة تحديد علاقتها بالدولة التي تسيطر على مضايق(البسفور والدردنيل)أما عن طريق القضاء عليها، أو على الأقل ضمان حرية المرور، وفي كل الأوقات لسفنها التجارية والحربية وإغلاق هذه الممرات أمام هذه سفن أعداء روسيا.[2] لقد أصبحت روسيا في الواقع بعد الثورة الفرنسية[3] الدولة الأوربية الكبرى الوحيدة التي تضع الفكر الصليبي في مقدمة سياستها الخارجية، وكان كثير من الساسة الروس يتعجبون من إن أوربا لا تشد أزرهم ضد الدولة العثمانية زعيمة العالم الإسلامي، ولكن الفكرة الصليبية التي كانت تلقى ترحيباً لدى شعوب البلقان لم تكن كذلك لدى الفرنسيين والانكليز الذين كانت لهم اتجاهاتهم الصليبية أيضاً ولكن بشكل مختلف فليس شن الحروب على طريقة الحروب الصليبية في العصور الوسطى هو أسلوب العمل الصليبي المجدي لدى بريطانيا وفرنسا في القرن التاسع عشر فالتبشير الانكليزي بروتستانتيا وكانت الكنيسة القومية البريطانية في خدمة المصالح البريطانية إلى جانب الدين كذلك الأهداف الفرنسية، وكان النشاط التبشيري البروتستانتي في الدولة العثمانية ناجحاً تحت حماية البريطانية، كما كان النشاط الكاثوليكي هناك نامياً في وجه مقاومة تبشريه بروتستانتية قوية ولكنها كانت مواجهات تخدم في النهاية أهداف التبشير المسيحي، فكان من الطبيعي أن يدخل القيصر الروسي رأس الكنيسة في مجال هذا التنافس التبشيري في الدولة العثمانية فكان أو وقع الصدام في بيت المقدس بين رجال الدين الكاثوليك ورجال الدين الأرثوذكس ليتحول إلى موجهة كبرى باسم الدين المسيحي، والحقيقة إن العامل الديني كان أقل العوامل من حيث الأزمة إلى حرب إلا إنه هو الذي ظهر كسبب مباشر للحرب.

رابعاً–الأسباب الشخصية

إن العامل الشخصي في حرب القرم له أهميته ولكن يجب أن لا نعطي له الأهمية الأولى فلقد كان لشخصية القيصر ولشخصية نابليون الثالث ولشخصية ردكليف.[4] فبالنسبة إلى القيصر الروسي (نيقولا الثالث)كان قد اقتنع بأن الظروف أصبح مواتية تماماً لأن ينفذ ما عجز أسلافه عنه وهو اقتسام الدولة العثمانية على اعتبار انه لو أُقحِمَ في حربٍ ضد الدولة العثمانية واستولى على المضايق وجعل الشعوب البلقان تستقلْ تحت حمايته وترك بريطانيا تحكم مصر، فأن بريطانيا ستوافق في الحال ويتحقق هذا الهدف الكبير بهذه الطريقة دون إراقة دماء أوربية ولكن غاب عنه عدد من الأمور منها

أولاً– إن الساسة في بريطانيا كانوا يعتقدون ان زمن اقتسام الدولة العثمانية لم يحن بعد.

ثانياً– إن بريطانيا كانت تحتقر القيصر وشعبه وتنظر إليه والى شعبه على أنه في مستوى أدنى من أن يتولى بنفسه هذه الأمور التي كانت في نظر الانكليز حينذاك تعدياً على الشعب العثماني الصديق وقد لعبت الثقافة وعلى مختلف مستوياتها دوراً جوهرياً في تشويه سمعة روسيا بين أفراد الشعب الانكليزي فالشعراء والصحفيون والكتاب كانوا قساة على روسيا وعلى تأخرها في ركب الحضارة ومع إن هناك شعوباً أوربية كانت هي الأخرى متخلفة وإن كانت بدرجة أقل. ومن هنا كانت كراهية الانكليز للروس تشمل الحكومة والشعب على حد سواء وكانوا يرون في حكومة القيصر قوة رجعية صلبة الشكيمة ساعدت على كبت الثورات التحررية في أوربا، وخاصة في كبت ثورة البلقان وفي تأييد النمسا ضد بروسيا عام1850.[5] ولم يكن الهجوم الصحفي البريطاني على حكومات النمسا وأسبانيا بمثل القسوة التي

[1] شوقي عطا الله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، 216.

[2] عمر عبد العزيز عمر، تأريخ أوربا الحديث والمعاصر 1815–1919، الإسكندرية مطبعة دار المعرفة الجامعية، 2000، ص98.

[3] لمزيد عن الثورة الفرنسية ينظر: لويس عوض، الثورة الفرنسية، القاهرة، الهيأة المصرية للكتاب العامة، 1992. وكذلك ينظر برنار غروتويزن، فلسفة الثورة الفرنسية، ترجمة عيسى عصفور، ط2، بيروت، منشورات البحر المتوسط، 1982,

[4] جمال محمود صبحي، المصدر السابق، ص81.

[5] شوقي عطا الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص218.

كانت موجهة ضد القيصر الروسي، وكان السفير البريطاني في الأستانة وردكليف يدرك حقيقة كراهية الشعب البريطاني وحكومته للقيصر كما أنه كان دائماً يحث السلطان العثماني على أن يكون متطلباً إزاء المطالب الروسية، ومؤكداً له أن بريطانيا بأسطولها وشعبها يقف رواء الدولة العثمانية ضد روسيا وكان هو نفسه يشد من أزر السلطان العثماني خلال أزماته مع القيصر وكانت الدوائر في الدولة العثمانية نفسها تدرك هذا تماماً فضلاً عن ردكليف فقد كان له نفوذاً كبيراً في الدولة العثمانية حتى أطلقوا عليه لقب(سلطان الدولة العثمانية الغير متوج).

ثالثاً– كان القيصر روسيا مكروهاً من قبل نابليون الثالث حيث كان الأخير يشعر بأن الاعتراف به إمبراطورا من الأمور الجوهرية وكان قيصر روسيا ينظر بعين الحقد والحذر الشديدين لعودة الإمبراطورية الفرنسية وتوقع من وراء ذلك شراً لروسيا ولذلك لم يخاطب نابليون الثالث بكلمة أخي وهي الكلمة التي تعارف عليها الأباطرة في تخاطب بعضهم البعض، من هناك كانت الكراهية الشخصية بين نابليون الثالث ونيقولا الثالث يدرك كم أصبح قيصر روسيا عدواً لانكلترا حكومة وشعباًن وفي نفس الوقت كانت سياسة نابليون الثالث تهدف إلى توثيق التعاون مع بريطانيا في مجالات السياسة الدولية، فهو إمبراطور جديد يريد أن يحرز مكانة عليا لفرنسا ولكن دون أن يتورط مثل عمه(نابليون الأول)[1] في حروب مع بريطانيا.[2]

المبحث الثالث

الانتصار الروسي وسير عمليات حرب القرم ونتائجها

أولاً– الانتصار الروسي

أيقن صناع القرار في الحكومة البريطانية إن تأكيد التزامهم بأتباع سياستهم التقليدية تجاه حماية كيان الدولة العثمانية من الانهيار على أيدي الفرنسيون أو الروس أو كليهما. كما أقروا إن الخلافات الفرنسية–البريطانية لا تتضارب والسياسة العامة لبريطانيا في أوربا والشرق الأوسط في آسيا، كما إن موقف فرنسا من روسيا يعتبر مسايراً اتجاهات السياسة البريطانية، وإن الدور الذي يجب على بريطانيا الحرص عليه هو تأمين منطقة البلقان الأرثوذكسية باعتبارها منطقة مهمة في حفظ التوازن الدولي ولهذا فأن منحها الاستقلال يعتبر أفضل لبريطانيا من وقوعها تحت النفوذ الروسي أو النمساوي، وفي الوقت الذي وصلت فيه البعثة الروسية إلى الأستانة، وخلال فترة الحوار مع بريطانيا حول مستقبل الرجل المريض كانت روسيا قد استعدت عسكرياً لتنفيذ خطتها في الدولة العثمانية[3] وطالبت

---

[1] ولد نابليون بونابرت في مدينة اجاكسيو وهي إحدى مدن جزيرة كورسيكا سنة1769 بعد عام من انضمامها لفرنسا في أسرة كانت في الأصل من نبلاء ايطاليا وكان هذا السبب تكلم نابليون بلكنة ايطالية. والتحق نابليون وهو في التاسعة من عمره بمدرسة عسكرية فرنسية وأظهر تفوقاً في الرياضيات والفنون الحربية، وتخرج منها سنة1784 ليدخل الكلية الحربية الملكية في باريس حيث أنهى دراسته في عام واحد بدلاً من عامين –كما كان مقرراً– برتبة ملازم ثانٍ، وكان قد تأثر بأفكار جان جاك روسو وبالثورة الفرنسية نظراً لنبوغه وذكائه الحاد، ليبدأ حياته العلمية وهو في السادسة عشر من عمره وكان أول ظهور له عندما تعاون مع حزب اليعاقبة، واشتهر بحصار طولون في عام 1796 تزوج من جوزفين وهي أرملة أحد القواد الفرنسيين. وكان نابليون طموحاً جداً ذا خيال واسع يفكر في تأسيس إمبراطورية فرنسية على غرار إمبراطورية الأسكندر المقدوني، وقد ساعدته الظروف ومقدرته النادرة وخبرته في الحرب والسياسة على القيام بأعماله الواسعة ونضاله ومعاركه ضد الدول الأوربية الأمر الذي أدى به إلى إن يخسر آخر معركة قادها إلا وهي معركة واترلو سنة1815 حيث هرب وسلم نفسه إلى سفينة انكليزية فنفي إلى جزيرة سانت هيلانة في المحيط الأطلسي ليموت هناك في سنة 1821. لمزيد من التفاصيل ينظر

Ar. Wikipedia. Org\wiki

[2] شوقي عطا الجمل وعبد الرزاق إبراهيم، المصدر السابق، ص218.

[3] مما تجدر الإشارة إليه أن الدولة العثمانية كانت قد خاضت مع روسيا حوالي عشرة حروب، كانت أولى هذه الحروب عام 1676 وانتهت في عام 1681 وآخر تلك الحروب كانت في عام1877 وانتهت في عام1878 لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر ، بغداد، مطبعة أركان، 1985، ص12.

بإعلان إغلاق الدردنيل أمام سفن كل من فرنسا وبريطانيا كما طالبت بعزل كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية في أيار عام1853[1]، ويبدو إن هذا الإجراء كان محاولة جادة من قبل بريطانيا لإيقاع القيصر الروسي في المصيدة بإحراجه وتعرية موقفه فلم يكن من السهل على القيصر الروسي إن يخضع للتهديد الفرنسي- البريطاني أو أن يتخلى عن الأراضي التي احتلتها القوات الروسية. لم تهدف الدولتان المتحالفتان(بريطانيا وفرنسا) إلى إعلان الحرب على روسيا من أجل ولايتين أوربيتين اقتطعا من الدولة العثمانية فكل ما كان يهمهما أن لا تسقط اسطنبول أو المضائق العثمانية بيد روسيا وأن لا يصل الروس على البحر المتوسط. تعتبر حرب القرم من أهم الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، وقد اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية، وهي أنما سميت بهذا الاسم لحدوث أهم معاركها في شبه جزيرة القرم التي تقع في شمال البحر الأسود.[2] كان السبب المباشر في للحرب هو ما وقع من خصام عنيف في مدينة القدس بين رهبان الكاثوليك والأرثوذكس، فانتهز قيصر روسيا الفرصة وقدم إنذار إلى الحكومة العثمانية يطلب منها أن تعترف به اعترافاً رسمياً بأنه حامي جميع رعايا الأرثوذكس في البلاد العثمانية، وأسرع السفير البريطاني كاننغ يرض المسئولين العثمانيين على رفض الإنذار ومن هنا أخذت الأزمة تشتد شيئاً فشيئاً. وفي أثناء ذلك وبينما كانت الأزمة في عنفوان اشتدادها، جرت مقابلة بين قيصر روسيا وسفير بريطانيا بطرس بيرغ السر(هاملتون سيمور)، فدار الحديث بينهما حول" الرجل المريض" أي –مصير الدولة العثمانية- فاقترح القيصر إجراء "عملية عاجلة لها لتجنب خطر انهيار المفاجئ وما يصحبه من فوضى قد تع أوربا بأسرها، وابدي القيصر استعداده أن يقوم هو بالعملية وأن يقدم مصر وجزيرة كريت إلى بريطانيا تعويضاً لها، فرد السفير البريطاني قائلاً: "إن جلالتكم تتحدثون عن رجل مريض، فأعذرني يا صاحب الجلالة إذا أنا لفت نظركم إلى أن واجب القوي هو حماية الضعيف وليس الإجهاز عليه".نشبت الحرب في شهر تموز من عام1853، ثم اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا في آذار من عام1854م. وكان لها ثلاث جبهات: جبهة الدانوب في الغرب وجبهة قفقاسيا في الشرق، وأما الجبهة الثالثة فكانت في شبه جزيرة القرم. وفي 20أيار من عام 1853 قدم منشيكوف اقتراح جديد إلى وزير الخارجية العثماني بان تعلق الحكومة العثمانية وثيقة رسمية تلتزم بموجبها بتأكيد جميع حقوق وامتيازات الأرثوذكس ومنحهم جميع الحقوق التي يحصل عليها أصحاب المعتقدات الأخرى في المستقبل. وعندما لم يتسلم متشيكوف رداً على ذلك قطع اتصالاته بالمسئولين العثمانيين ومغادرة العاصمة العثمانية[3] .ردت روسيا على ذلك بأن أمرت قواتها باحتلال إمارتي الدانوب فقام فيلقان روسيان في 3تموز 1853بعبور نهر(بروث)والمباشرة باحتلال الإمارتين[4] وعندها قدمت الدولة العثمانية إنذارا إلى روسيا بسحب قواتها من إمارتي الدانوب وعندما لم تستجب أعلنت عليها الحرب في 16تشرين الأول 1853.

[1] وردت روسيا أيضاً بإعلان الحرب. وقد رجحت كفة القوات الروسية منذ البداية حيث تمكنت من إيقاف العمليات الهجومية التي قامت بها الدولة العثمانية واحبطت محاولاتها لإخراج الجيش الروسي من أمارتي الدانوب.

[2] وانتصرت على العثمانيين في ضواحي (قارص)فيما وراء القفقاس

[3] وتمكن الأسطول الروسي من تدمير الأسطول العثماني في 30تشرين الثاني 1853 وإغراقه في ميناء سينوب الذي استولى عليه الروس وأزالوا تحصيناته[5].

بعد أن احتلت روسيا أمارات الدانوب(رومانيا الحالية) سارعت المملكة المتحدة فوراً إلى إرسال أسطول إلى القسطنطينية (اسطنبول)لدعم الأتراك. قام الأسطول الروسي بتدمير مجموعة من السفن العثمانية في (سينوبه)وقامت فرنسا والمملكة المتحدة بإرسال أساطيلها إلى

---

[1] جمال محمود حجر، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنيين التاسع عشر والعشرين، تقديم عمر عبد العزيز عمر، الإسكندرية، مطبعة دار المعرفة الجامعية ، 1989، ص85.

[2] فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007، ص589.

[3] هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى1774-1856 بغداد، بيت الحكمة، 1990، ص179.

[4] هاشم صالح التكريتي، المصدر السابق، ص180.

[5] المصدر نفسه، ص196-197.

البحر الأسود لحماية حركة التجارة العثمانية ثم أعلنت فرنسا والمملكة المتحدة الحرب على روسيا ثم بعد ذلك قام الروس بسحب قواتهم من إمارات الدانوب بغية منع النمسا من الانضمام إلى التحالف ضدهم ومن ثم احتلت النمسا أمارات الدانوب. وفي (أيلول) من عام 1854 أنزلت فرنسا والمملكة المتحدة جيوشها في بلاد القرم وضربت تلك الجيوش حصاراً على الحصون المحيطة بمدينة(سيفاستوبول) لمدة عام كامل استبسل جنود الحلفاء في معارك(ألما)في 20أيلول 1854و (بالاكلاوا) في 25(تشرين الأول)1854،وفي (انكرمان)في الخامس من(كانون الأول)1854، إلا إن قوات التحالف عجزت في البداية عن اختراق الدفاعات الروسية بشكل فعال وفي (كانون الثاني)من عام1855 قام الكونت دي كافور بإرسال(10.000)جندي سرديني مجهزين تجهيزاً كاملاً لمساعدة فرنسا وبريطانيا أملاً في الحصول على دعم الرامية إلى توحيد ايطاليا[1] . وفي 11(أيلول) عام1855 تمكن الفرنسيين من شن هجوم ناجح على(مالاقوف)وهي نقطة إستراتيجية في الدفاعات الروسية واضطر الروس إلى أخلاء حصونهم وإغراق سفنهم والتخلي عن (سيفاسنوبل)[2]. بعد سقوط ميناء(سيفاسيوبول)بمدة قصيرة توفي القيصر الروسي (نيقولا الأول)وخلفه في الحكم(الاسكندر الثاني)الذي عرف بتركيزه على أمور روسيا الداخلية، وبعد ذلك وافقت روسيا على شروط السلم المبدئية على مضض بعد أن أنهكت عسكرياً واقتصادياً وتم التوصل إلى السلام الكامل في معاهدة (مؤتمر باريس)

معاهدة باريس1856

وفي أوائل 1856أرسلت النمسا إنذارا إلى روسيا تطلب فيه منها أن تقبل بالمبادئ الأربعة دون قيد أو شرط وإلا أعلنت عليها الحرب وفي 16كانون الثاني سنة1856أجابت روسيا بالقبول ولم تعد هنالك ضرورة لدخول الحرب، توجهت الدعوة إلى مؤتمر سلام عقد في مدينة باريس وانتهى بمعاهدة الصلح المعروفة باسم معاهدة باريس والتي وقعت في 30آذار سنة1856وتنص شروطها على ما يلي:

1- يعترف السلطان بالمساواة بين رعاياهُ على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ويفهم من ذلك أن من حقه الاهتمام بشؤون رعاياه المسيحيين ولا يحق لدولة أجنبية التدخل في شؤونهم.

2- تعترف الدول الأوربية بالسيادة العثمانية على مناطق ويحضر على روسيا بناء أسطول بحري وإنشاء معامل حربية وأسلحة وبهذا يصبح البحر الأسود محايداً.

3- إعلان حرية الملاحة في نهر الدانوب وتأليف لجنة دولية للأشراف عليها.

4- تمتع الولايتان الدانوبيتان بالاستقلال الذاتي ضمن الأمبراطوية العثمانية.

ويقول المؤرخ الأمريكي وليم بيل في وصف حرب القرم : إنها كانت من أكثر الحروب التي نشبت بين الدول الأوربية "غباءاً وعدم فائدة" فقد كانت الخسائر في الأرواح والممتلكات هائلة، وكان أخضع ما جرى فيها حصار قلعة سيباستول وهو الحصار الذي قامت به الجيوش البريطانية والفرنسية ضد الحامية الروسية ودام سنة كاملة ولم يكن الجنود البريطانيون والفرنسيون متعودين على برد روسيا فانتشرت بهم الأمراض والعاهات. وقد انتهت الحرب أخيراً بالانتصار الدولة العثمانية وحليفتها بريطانيا وفرنسا ولكنه كان انتصاراً باهظ الثمن إلى ابعد الحدود، وصرح الكثير من البريطانيين والفرنسيين ندماً:" ماذا جنينا من هذه الحرب؟"[3] . ووقعت معاهدة باريس في عام1856ونتيجة لتلك المعاهدة التي أعقبت الحرب بين الدولتين فقد أحبرت الدول الأوربية الدولة العثمانية على إصدار مرسوم أو ما يعرف بـ(خط همايون)[4]، وفي عام 1856م وهو تأكيد على ما جاء في خط (كلخانة)الصادر عام 1839م مع إضافات جديدة تتعلق بحقوق النصارى والتنظيمات الإدارية الجديدة، فكان أكثر دقة من الخط الأول، حيث تميز بوضع حد للقوة المتناهية لورسيا.[5] ولأسباب حربها ضد الدولة العثمانية عام(1853-1855)ومن أجل كسب أراضي جديدة وإيقاف حركة الإصلاحات التي بدأت تخشى

---

[1] المندى، شبكة المعلومات الدولية (انترنيت) .htt shatharal com

[2] عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص240.

[3] علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج2، ط2، بيروت، مطبعة دار الراشد، 2005، ص66-67.

[4] خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الدولة العثمانية والغزو الفكري، ط2، مكة المكرمة، مطبعة جامعة أم القرى ،1997، ص547.

[5] هـ.أ.ل. فشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث(1789-1950)ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط9، مطبعة دار المعارف، 1993، ص217.

منها روسيا والتأكيد على قضية الامتيازات التي حصل عليها القساوسة الكاثوليك بموجب هذه الامتيازات التي منحت لفرنسا في عصر سليمان الأول القانوني[1]. وهذه الامتيازات هي التي خولت للفرس امتلاك الكنائس في فلسطين وكان الروس يسعون جاهدين لبسط نفوذهم على تلك الكنائس كما هو معروف وسلب فرنسا تلك الامتيازات وأعطاها للأرثوذكس الموالين لهم لتتولى الزعامة بسبب حمايتها لهذا المذهب أو لأجل نشر نفوذها في الدولة العثمانية عن طريق تحريك رعاياهم لهذا المذهب لضرب الدولة بهم ولانشغال فرنسا في حروبها مع نابليون فقد سيطر الروس على مركز النفوذ الذي كان لفرنسا وعندما حاول نابليون إعادة هذا النفوذ اختلف مع روسيا ولإنهاء هذا الأمر تحاكموا إلى الدولة العثمانية صاحبة الأمر فقررت أولوية النفوذ للكاثوليك فعارض الروس هذا القرار وهددوا الدولة العثمانية بالحرب لو صممت على هذا القرار فكانت الحرب الروسية العثمانية ، ونتيجة لهذه المعاهدة التي أعقبت الحرب بين الدولتين فقد أجبرت الدول الأوربية الدولة العثمانية على إصدار الخط الهمايوني عام(1856م). وقد تضمن الخط الهمايوني ما يلي.

1- إلغاء نظام الالتزام والقضاء على الرشوة والفساد

2- المساواة في التجنيد بين المسلمين وغير المسلمين

3- معاملة جميع رعايا الدولة العثمانية معاملة متساوية مهما كانت أديانهم ومذاهبهم.

4- المحافظة على الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها رؤساء الملل غير الإسلامية

5- القضاء على حواجز نظام الملل، ليتمتع كل مواطني الإمبراطورية العثمانية بمواطنة عثمانية متساوية.

6- أن تصبح المسائل المدنية الخاصة بالرعايا المسيحيين من اختصاص مجلس مختلط من الأهالي ورجال الدين المسيحيين يقوم الشعب بانتخابه بنفسه.

7- فتح معاهد التعليم أمام المسيحيين لتفتح أمامهم وظائف الدولة .

8- السماح للأجانب بامتلاك أراضي في الدولة كما وعد السلطان بالاستعانة برأسمال والخبرات الأوربية بهدف تطوير اقتصاد الدولة.[2]

إن من أبرز خصائص التنظيمات أنها كانت

1- من أولى الوثائق الرسمية التي لم تستمد مصدرها من الشريعة الإسلامية، بل اعتمدت على مصادر وضعية للتشريع مستوحى من التجارب والدساتير الأوربية، كما أنها احتوت على مفاهيم غريبة مثل(الوطن) والتي نظمها خط شريف كولخانة، بدلاً من الأمة، فكان خط شريف كولخانة هو أولى الخطوات نحو فصل الدين عن السياسة.[3]

2- إن إقرار الأمنية الكاملة وعهد الأمان ومجلس شورى النواب أو مظاهر الأخرى مستوحاة من التجربة الغربية قد سمحت بإضفاء نوع من الشرعية على استمرار الحيف على العامة من ناحية، وفتحت الطريق لطبقة التجار الغربيين والمبشرين لإلحاق المجتمع العثماني بقوانين السوق وبمعايير الفكر التبشيري من ناحية أخرى.

3- لقد تكلل خط كولخانة والهمايوني بدستور مدحت باشا عام1876، ولأول مرة في تاريخ الإسلام ودولة يجري العمل بدستور مأخوذ عن الدستور الفرنسي والدستور البلجيكي والدستور السويسري وهي دساتير وضعية.

---

[1] تقلد السلطنة العثمانية من عام1520 لغاية عام1566، ولد سليمان القانوني في مدينة طرابزون العثمانيةعام1496، وكان والده آنذاك والياً عليها، اهتم به والده اهتماماً كبيراً فنشا محباً للعلم والأدب والعلماء والفقهاء واشتهر منذ شبابه بالوقار والجدية استلم مقاليد الحكم في الدولة العثمانية عندما بلغ السادسة والعشرين من عمره، لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر علي محمد الصلابي، المصدر السابق، 192.

[2] قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، بيروت، مطبعة المتوسط، 3003، ص62.

[3] محمد علي الصلابي، المصدر السابق، ص346.

ولقد وضعت تلك التنظيمات الدولة العثمانية رسمياً على طريق نهايتها كدولة إسلامية، ووضع مؤسسات تعمل بقوانين وضعية والابتعاد عن التشريع الإسلامي في مجالات التجارة والسياسة والاقتصاد، قد سحب من الدولة العثمانية شرعيتها في أنظار المسلمين ناهيك أن عدو الدولة أصبح داخلياً، فالتوغل الأوربي في مستوياته الثقافية والاقتصادية والسياسية من ناحية، والمسلمون وعلماء الدين الذين يرتابون بمسلك الدولة من الناحية الثانية، فسيبدءون صراعاً لن ينتهي حتى بعد نهاية الدولة العثمانية، بل استمر حتى يومنا هذا. إن من الأهمية بمكان أن نقوم ما حدث ولقد ترك السلطان العثماني عبد الحميد الثاني[1]، وفي مذكراته شهادة تاريخية، لقد حاول إنقاذ الدولة العثمانية بعد أن دارت عليها الدوائر واحكم عليها الحصار، لقد كان سلطاناً واعياً لحقيقة الدعوات إلى التحديث التي اتخذت لها تسمية(الحركة الإصلاحية)تغطية لنواياها الحقيقية في ربط الدولة العثمانية بالغرب، وعن ذلك فحاربه الدستوريون ويهود الدونمة وعزلوه، وفي أواخر عهده كتب وهو سلطان مسلوب الإرادة يكشف حقيقة الإصلاح سيكون سبباً فيقول" التجديد الذي يطالبون به تحت اسم الإصلاح سيكون سبباً في اضمحلالنا . ترى لماذا يوصي أعداؤنا الذين عاهدوا الشيطان بهذه الوصية بالذات. لاشك أنهم يعلمون علم اليقين أن الإصلاح هو الداء وليس الدواء وأنه كفيل بالقضاء على هذه الإمبراطورية إذا أردنا أن نتبنى بعض الإصلاحات فعلينا أن نأخذ بالحسبان الظروف السائدة في البلاد. وإلا نقيس الأوضاع على أساس المستوى الفكري لحفنة قليلة من الموظفين، ويجب أن يكون في الحسبان شكوك طبقة العلماء في كل ما هو أوربي، الأوربيين يتوهمون أن السبيل الوحيد للخلاص هو الأخذ بحاضرتهم جملاً وتفصيلاً، لاشك أن طراز التطور عندنا هو غير ما عند الأوربيين وعلينا أن نتطور تحت ظروف طبيعية ومن تلقاء أنفسنا وأن نستفيد من الظروف الخارجية في حالات خاصة ومن الظلم الفادح أن نتهم بمعاداة كل شيء يأتي من الغرب."[2]

نتائج حرب القرم

تعتبر حرب القرم في نظر بعض المؤرخين نقطة تحول في تاريخ لدولة العثمانية وتاريخ شعوبها، وكذلك تعتبر عاملاً مساعداً في التغير الاجتماعي والسياسي الكبير الذي حدث في المجتمع العثماني منذ منصف القرن التاسع عشر.

كان أهم مظهر من مظاهر التغير الاجتماعي الذي نتج عن حرب القرم كان من نصيب العاصمة اسطنبول فقد فتحت تلك الحرب أبواب اسطنبول إلى الحضارة الأوربية وأخذ العثمانيون ينظرون إلى البريطانيين والفرنسيين نظرتهم إلى حلفاء ينصرونهم ضد عدوتهم التقليدية روسيا، وصار البريطانيون والفرنسيون من جانبهم يغلغلون في البلاد العثمانية لإدخال الحضارة فيها من جهة ولجني الأرباح التجربة من جهة أجرى، تقول المؤرخة الألمانية (ولتن)" إن الدولة العثمانية برهنت على إنها حاجز ذو قيمة ضد الحظر الروسي فشددت أوربا على ضرورة الإصلاح الداخلي فيها إذ إن كل تقوية إلى جسد الرجل المريض كانت تزيد من قوته على حماية طريق الهند وإغلاق الدردنيل أمام السفن الروسية وقد أخذ البريطانيون والفرنسيون يمدون الدولة العثمانية بالقروض ويرسلون البعثات الاقتصادية[3] والعسكرية إلى المقاطعات العثمانية الشاسعة، ويؤسسون المدارس وينشئون السك الحديدية وخطوط تلغراف، وهم إذ كانوا يفعلون ذلك ولم يكونوا في أمر محاربة روسيا فقط بل كانت لهم مقاصد تجارية أيضاً، وكانت أولى نتائج هذه الخطة تبشر بالنجاح فأصبحت الأنسجة القطنية الانكليزية تغطي أجساد الفلاحين العثمانيين واستخدمت المحاريث الانكليزية لشق ألأراض الزراعية وصارت سمعة الانكليز من حيث تفوقهم في مجال القوة والذكاء والصناعة شائعاً في كل أطراف الدولة العثمانية، وتضيف المؤرخة(ولتن)إلا إن الأتراك وهم محاربون بالفطرة كانوا يحتقرون الاشتغال بالتجارة والصناعة فسمحوا لتجارتهم بان تقع في أيدي تجار أوربيون ليسوا على كل حال من النوع الممتاز، فقد نزح إلى تركيا مقامرون وأفاقون من كل نوع وأنشئوا هناك مشاريع خيالية لم يكن أحد ليجرؤ على تكذيبها في ذلك العصر المملوء بالغرائب، فأنشئت شركات لشراء أراضي وهمية كي تقام عليها المباني والبنوك ومكاتب التلغراف وخطوط سكك الحديد مشاريع خيالية ولكنها في الظاهر ذات مستقبل مضمون يفوق على كل حال ماضي أصحاب تلك المشاريع، وهاجر إلى تركيا كذلك الكثير من

---

[1] في عام1876 وصل السلطان عبد الحميد الثاني سدة الحكم بعد أخيه السلطان مراد، شهدت فترة السلطان عبد الحميد الثاني نشاطاً إصلاحياً ملحوظاً وفي عهده صدر الدستور الثاني عام1876، واصل مهامه في الدولة العثمانية إلى أن اعفي من قبل جماعة الاتحاد والترقي في عام1908، لمزيد من التفاصيل ينظر، وديع ابو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، عمان، المكتبة الأهلية للنشر والإعلان، 2003.

[2] محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، دمشق، دار الفكر، 2004، 21.

[3] علي الوردي، المصدر السابق ، ص72.

لاجئ البولونيين الذين لم يتيقنوا شيئاً من حياتهم سوى خياطة الثياب وترقيع الأحذية، ولكنهم اقتحموا في تركيا الأوساط الهندسية العلية وادعوا الخبرة في فن المعمار، وكانت تجارة الحصول على الامتيازات اللازمة لكل مشروع جديد في حد ذاتها عملاً مربحاً، ومجرد الإشاعة عن معرفة أحد موظفي الباب العالي كافية لإطعام عائلة وأصبحت صحية(أغن نفسك)[1] شعار الملك لويس فيليب تتجاوب فوق البسفور ولكن على نحو مفرط يتناسب مع طبيعة الشرق وهكذا أخذت تركيا تدفع غالياً ثمن أكاليل الغار الجديد، فكان انتصارها في لواقع انهزاماً أمام حلفائها الغربيين، وكان سير الأمور يوحي بأن أوربا ستتمكن من شراء تركيا بأسرها، فقد خضعت هذه الدول القديمة المحاربة لا مضى وأدهاها:سلاح الذهب[2] .

الخاتمة

نشبت الحرب في شهر تموز من عام 1853م، ثم اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا في آذار من عام 1854م. وكان لها ثلاث جبهات: جبهة الدانوب في الغرب وجبهة قفقاسيا في الشرق، وأما الجبهة الثالثة فكانت في شبه جزيرة القرم. يقول المؤرخ الأمريكي وليم بيل في وصف حرب القرم: أنها كانت من أكثر الحروب التي نشبت بين الدول الأوربية"غباءاً وعدم فائدة" فقد كانت الخسائر في الأرواح والممتلكات هائلة ، وكان أفضع ما جرى فيها حصار قلعة سيباستول وهو الحصار الذي قامت به الجيوش البريطانية والفرنسية ضد الحامية الروسية ودام سنة كاملة ولم يكن الجنود البريطانيون والفرنسيون متعودين على برد روسيا فانتشرت بهم الأمراض والعاهات، وقد انتهت الحرب أخيراً بانتصار الدولة العثمانية وحليفتها بريطانيا وفرنسا. أما بالنسبة إلى أهم الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث فهي:

1- إن الحرب القرم كانت البداية التي انتهت بها أملاك الدولة العثمانية في منطقة شرق أوربا.

2- بعد أن أظهرت فرنسا وبريطانيا صداقتها وخوفها على مصالح الدولة العثمانية إلا إنها كانت تخطط الأبعد من ذلك إلا وهو فرض سيطرتها على المناطق التي كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية.

3- كانت حرب القرم من الأسباب الغير مباشرة لاندلاع لحرب العالمية الأولى عام1914.

قائمة بأسماء المصادر

أولاً – الكتب

(1) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ السيطرة العثمانية على أقطار الوطن العربي، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، 1982.

(2) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، القاهرة، دار المعارف، 1965.

(3) الياس الأيوبي، محمد علي وسيرته وأعماله وآثاره، مصر، دار الهلال، 1923.

(4) جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعلم، ترجمة، قدري قلعجي، بيروت منشورات الفاخرية ودار الكتاب العربي، د.ت.

(5) جاليناس نيكيت، قناة السويس ملكية وطنية للشعب المصري، ترجمة إبراهيم عامر، القاهرة ، الدار المصرية للطباعة، 1975.

(6) جمال محمود حجر، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنيين التاسع عشر والعشرين، تقديم عمر عبد العزيز عمر، الإسكندرية ، مطبعة دار المعرفة الجامعية، 1989.

(7) خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الدولة العثمانية والغزو الفكري، ط2، مكة المكرمة، مطبعة جامعة أم القرى، 1997.

(8) رجب حراز، الدولة العثمانية وسبه جزيرة العرب1840-1909، القاهرة، 1970.

[1] محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود.

[2] علي الوردي، المصدر السابق، ص74.

(9) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تأريخ أوربا في عصر النهضة إلى الحرب الباردة، القاهرة، مطبعة المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2000.

(10) عمر الإسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مطبعة المعارف، 1917 .

(11) عبد الرحمن زكي، التاريخ الحربي العصر محمد علي الكبير، دار المعارف، مصر ، 1950.

(12) عمر طومسون، الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم1853–1855، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1993.

(13) عمر عبد العزيز عمر، دارسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت، 1975.

(14) علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، طرابلس، منشورات مكتبة طرابلس، د.ت.

(15) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج2، ط2، بيروت، مطبعة دار الراشد، 2005، ص66–67.

(16) عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج2، ط3، مكتبة النهضة، 1958.

(17) عمر عبد العزيز عمر، تأريخ المشرق العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.

(18) عمر عبد العزيز عمر، تأريخ أوربا الحديث والمعاصر1815–1919، الإسكندرية مطبعة دار المعرفة الجامعية، 2000.

(19) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية مطلع العهد العثماني أواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007.

(20) قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، بيروت، مطبعة المتوسط، 2003.

(21) كريم ثابت، محمد علي، ط2، مطبعة المعارف، 1943.

(22) كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، مطبعة أركان، 1985.

(23) لويس عوض، الثورة الفرنسية، القاهرة، الهيأة المصرية للكتاب العامة، 1992.

(24) محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر، بغداد مطبعة جامعة بغداد، 1986.

(25) محمد كمال دسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة للطابعة والنشر، القاهرة، 1976.

(26) محمد جميل بيهم، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، ط1، القاهرة، 1950.

(27) محمد حسن العبدروس، تاريخ العرب الحديث، دبي الكتاب الحديث، 2000.

(28) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514–1914، القاهرة دار الجيل للطباعة، د.ت.

(29) حمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر، ط3، مصر، دار المعارف، 1963.

(30) محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، دمشق، دار الفكر، 2004.

(31) محمود صالى منسى، مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفردينان دي ليسبس دراسة وثائقية للجهود الفنية والدبلوماسية من اجل شق طريق مائي في برزخ السويس حتى عام 1865، القاهرة دار الاتحاد العربي للطباعة، 1971.

(32) مكي جميل، تاريخ المسألة الشرقية، المكتبة العصرية، بغداد، 1926.

(33) نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، دمشق، 1967.

(34) هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية المرحلة الأولى1774–1856 بغداد، بيت الحكمة، 1990.

(35) هـ.أ ل.فشر، تاريخ أوربا في العصر الحديث(1789–1950)ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط9، القاهرة، مطبعة دار المعرف، 1993.

(36) وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، عمان، المكتبة الأهلية للنشر والإعلان، 2003.

الدوريات

(1) أمة الملك إسماعيل قاسمن الولادة العثمانية وأبرز أعمالهم الإنشائية في فتري الحكم العثماني الأول والثاني لليمن، مجلة الملك سعود، مجلد 22، 1431هـ.

(2) علي يوسف البلخي،" الموقف الدولي من احتلال محمد علي لبلاد الشام 1839، 1840 من خلال الوثائق العثمانية "، مجلة دراسات تاريخية، العددان(19–20) نيسان/تموز 1985.

(3) محمد حبيب صالح،" الدبلوماسية الروسية في مصر وبلاد الشام خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر" مجلة دراسات تاريخية، العددان(67،68كانون الثاني وحزيران، 1999.

الرسائل والأطاريح

(1) زيدان حسان الحاوي، مؤتمر فينا 1814–1815، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة بغداد، 2004.

(2) سامي صالح محمد، الصراع البريطاني الفرنسي على مشروع قناة السويس 1854–1869، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2006.

(3) عدنان حسين الشخيلي، الفكر القومي العربي في مصر 1882–1922، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، 1980.

المنتدى، شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت).

1-WWW.FNRTOP. COM\VB\ SHOWTHREAD. PHP

AR.WIKIPEDIA. ORG\WIK.

3-HTT SHATHARAT COM